بناء الضمائر
في عربية منطقة
البحيرات الأفريقية

د/ موسى حامد موسى خليفة
أستاذ اللغويات المساعد بمركز اللغات والترجمة
جامعة جوبا بالسودان
والمعار لدى كلية الآداب والعلوم الإنسانية
بجامعة الباحة

بناء الضمائر في عربية منطقة البحيرات الأفريقية

في المنطقة جنوب الصحراء الأفريقية ، أقصي جنوب السودان، وشمال يوغندا ، وغرب كينيا ،وجنوب غرب الصومال انصهرت مجموعات عرقية، ولغوية متباينة، تنافست لغاتها في سوق الاستخدام الاتصالي بين جميع الأفراد في شتى المجالات ، ولم تكن الغلبة في نهاية المطاف إلا للغة للعربية بسبب قدرتها التعبيرية العالية . إذ إن رأس مالها أقوي في السوق اللساني من منافساتها الأخريات . ولذا كان حظها أوفر في أن تكون اللغة النموذجية بفعل قوة بنيتها الداخلية – قدرتها التعبيرية – فأُتخذتْ وسيلةً للتفاهم بين المجموعات العرقية المتباينة مع وجود كثير من التشوهات التي اعترتها في لسان مستخدميها . وسنقوم بعرض جانب من لغة الاتصال تلك –العربية الأصل – المنتشرة في تلك المناطق والتي تُعْرَف في شمال السودان بعربي جوبا وفي يوغندا بكنوبي Kinopi . وسنتناول في هذا المقال ضمائر هذه اللغة التي سنستخدم مصطلح اللهجة إشارة إليها، ومصطلح العامية إشارة إلى اللهجة العربية المعروفة في الأوساط العلمية بعامية السودان .

ونحاول الإجابة على الأسئلة التالية :

ما هي الضمائر المستخدمة في عربية منطقة البحيرات؟

ما الفروق الصياغية بينها وضمائر العربية الفصحى؟

ما أثر اللغات المحلية في التغيرات الصوتية في صياغة الضمائر؟

استخدمت اللهجة الضمائر العربية – باعتبارها لهجةً عربيةً انطلقت من السودان الشمالي ومن ثم انتقلت تدريجياً بواسطة التِّجار – مثلها ومثل سائر اللهجات العربية المعاصرة ، إلا أنها عمدت إلى تغيير بعض الضمائر فونولوجياً بحذف بعض صوامتها وتغيير بعض صوائتها ، نتيجةً لأثر اللغات المحلية عليها ولا سيما أن اللغات المحلية – التي أهمها لغة الباري – هي اللغات الأم لكل سكان الولايات الاستوائية بمن فيهم سكان مدينة جوبا [١] . وقد بلغ عدد الضمائر المستخدمة في اللهجة ستة ضمائر فقط لمقابلة أثني عشر ضميراً عربياً[٢] هي (أنا na? ، نِينا nina ، إتَ ita? ، إيتاكُمْ itakum? ، أوَ uwa? ، أُومن uman?) :

---

١) باستثناء بعض طلاب مدارس الأساس الذين اتخذوا من العربية لغاً أماً بسبب عوامل خارجية ذكرت في موضعها / أنظر الجزء الخاص ب الوضع اللغوي لدي تلاميذ الأساس د/ موسى حامد موسى / الأوضاع اللغوية في مدارس الأساس الاستوائية / بحث دكتوراه في اللغويات غير منشور / جامعة جوبا.

٢) المعروف أن الضمائر العربية هي (التكلم : أنا نحن / الخطاب : أنتَ ، أنتِ، أنتما ، أنتم ، أنتن / الغيبة : هو ، هي ، هما ، هم ، هن)

أ/ الضمائر المنفصلة :

I/ : ضمائر التكلم :١/ أنا (na?) يستخدم في اللهجة كما هو في الفصحى والعامية السودانية دون أي تغيير.

٢/ نينا (nina) يُستخدم الضمير (نينا nina) للمتكلمين لمقابلة الضمير (نَحْنُ) ، ونلاحظ أن الضمير (نينا nina) يختلف عن الفصحى فونولوجياً في تحرُّك النون الأولى بالكسر بدلاً عن الفتح، والنون الثانية بالفتح بدلاً عن الضم كما في العامية السودانية – مصدر اللهجة – ويرجع عامل كسر النون الأولى إلى قانون السهولة والتيسير[٣] إضافةً إلى أثر اللهجات العربية القديمة على العامية السودانية . وزادت اللهجة على ذلك بأن أسقطت الحاء لعدم وجودها في اللهجة [٤] .

II / : ضمائر الخطاب :

١/ إتَ (?ita)

يُستخدم الضمير للمخاطب والمخاطبة على السواء لمقابلة ضميري الفصحى (أنْتَ ، وأنْتِ) ، والتغير الذي حدث هنا هو سقوط النون الساكنة بسبب اشتراكها مع التاء في

٣) د. رمضان عبد التواب / الإبدال اللغوي مظاهره وعلله

٤) لم تشتمل عربية جوبا على جميع الأصوات الحلقية والحنجرية عدا الهمزة ، ويرجع ذلك إلى غياب هذه الصوامت في اللغات المحلية أنظر د/ موسى حامد موسى السابق

المخرج [٥] وهكذا صار الضمير (أت) ثم غُيرتْ حركة الهمزة إلى الكسر بعامل السهولة والتيسير والميل إلى الكسر (إت) ، وقامت العامية السودانية بتضعيف التاء لتعويض النون المحذوفة وصارت (إتَّ itta?) في العامية السودانية مع الحفاظ على حركة التاء (فتحة) للإشارة إلى المفرد المذكر ، ولمّا لم تكن ظاهرة تضعيف الصوامت شائعة في اللغات المحلية في الاستوائية وبالتالي في اللهجة [٦] ، ولذا عملت اللهجة على تطويل حركة التاء عوضاً عن النون المحذوفة وما دامت اللهجة لا تستخدم صيغاً خاصة بالمؤنث أشارت بالضمير (إتَ) للمؤنث والمذكر معاً .

٢/ إيتَكُمْ (itakum?)

يُستخدم الضمير (إيتَكُمْ itakum?) للمخاطبَين (مذكر ، ومؤنث) ، والمخاطبِين ، والمخاطبات لمقابلة الضمائر الفصيحة (أنتما ، أنْتُم ، أنْتُن) . فصيغة (إيتَكُم

٥) كل من النون والتاء أسناني لثوي إلا أن النون أنفي إذ يحدث عند النطق به أن ينخفض الحنك اللين إلى أسفل مما يسمح بتسرُّب بعض الهواء عبر التجويف الأنفي .

٦) لاحظ الباحث عند تدريسه اللغة العربية للمبتدئين بجامعة جوبا أن أكثر الصعوبات النطقية التي يواجهها الطلاب هي نطق الصوامت المضعَّفة ، وذلك بسبب عدم وجودها في لغاتهم الأم . أنظر صوامت اللغات المحلية المبحث الأول من الباب الرابع / د/ موسى حامد موسى السابق .

itakum?) مركبَّة من مقطعين الأول : إيتا ita? (أنْتَ) ، والثاني : كُمْ kum وهو المكون من فونيم الكاف الدال للخطاب ، وفونيم الميم الدال على الجمع ، فاستخدام الكاف للخطاب في الفصحى مقصور على الضمائر المتصلة الواقعة في محل نصب أو جر مثل : بك بكم ، ضربكَ .... الخ . إلا أن اللهجة استخدمته هنا في بناء الضمير المنفصل ، ويرجع ذلك إلى غياب الضمائر المتصلة في اللهجة وسائر اللغات المحلية في المنطقة [٧]

III / ضمائر الغيبة :

١/ أُوَ (?uwa)

تستخدم صيغة (أوا ?uwa) للمخاطب ، والمخاطبة على السواء لمقابلة ضميري الغائب (هُوَ ، وهِيَ). والتغير الذي حدث في هذه الصيغة هو أن اللهجة عملت على قلب الهاء همزة ، وحدث ذلك بعامل وجود التماثل بين الصوتين الهاء والهمزة مع الحفاظ على حركة الضم [٨] ، وبذا صارت الكلمة (أُوَا) ثم سقطت حركة الواو في العامية السودانية وأصبحت

٧) أنظر طرق صياغة ضمائر اللغات المحلية د/ موسى حامد موسى الأوضاع اللغوية في مدارس الأساس الاستوائية ، بحث دكتوراه / جامعة جوبا .

٨) كل من الصوتين الهاء ، والهمزة حنجري إلا أن الهاء احتكاكي والهمزة انفجاري .

(هُوْ) ، وبقيت في اللهجة ، كما في العامية المصرية ، ولعل عامل بقاء حركة الواو في الضمير (أو ، هُوَ) يرجع في الأصلِ إما نتيجة أثر العامية المصرية على عربية جوبا [٩] أو إلى تغير أول الضمير من الهاء إلى الهمزة .

٣/ أومن (?uman)

تستخدم اللهجة صيغة (أومن ?uman) لمقابلة ضمائر الغيبة – في الفصحى – الدالة على الجمع والمثنى معاً (هُمْ ، وهُما) . والتغيير الذي طرأ على هذا الضمير هو قلب الهاء همزة [١٠] أولاً ثم تطويل حركتها "الضمة " ، وإضافة نون في آخر الضمير . ويقول عابدون عن هذا الضمير :

> يصعب تحليل كلمة (أُومَنْ ?uman) ، ولكن يمكن أن نقول ببساطة أنها انحدرت من العامية السودانية (هُمَّ + إن) وكان الناتج (أومن) حيث اُستخدِمتْ للدلالة على الضمير

٩) كان كثير من المصريين يعملون في الوظائف الحكومية خاصة التي تتطلب قدراً من التعليم في الاستوائية أيام الحكومة التركية والحكومة الإنجليزية من بعدها وبقى هؤلاء فترة طويلة فتأثر بهم حتى السودانيين الشماليين العاملين في الجيش والمهن الأخرى.

١٠) أنظر عامل تغير الهاء همزة في هامش الصفحة السابقة .

المنفصل الدال على الجمع ، ومعلوم أن اللغة العربية تستخدم فونيم النون للدلالة على التأنيث ، وقد استعارته عربية جوبا للدلالة على الجمع [١١]

لِمَ لَمْ تستخدمه لمقابلة ضمائر التأنيث (أنْتِ ، أنْتُنَ ، هي ، هُنَّ) ولم يحدث ذلك لأن اللهجة أصلاً يغيب عنها التأنيث باعتباره أثراً من آثار اللغات المحلية . وبدورنا نستطيع أن نُحلِّلُ أصل صيغة (أُومَن) بناءً على قوانين الإبدال الصوتي ، فنقول أن الكلمة (أُومَن) مركبة من مقطعين الأول هو (أُو) وهو الضمير المستخدم للمفرد المذكر في اللهجة لمقابلة (هُوَ) [١٢] ، أما المقطع الثاني فهو (مَنْ) . ومعلوم أن الضمير في الأصل – كما في الفصحى – (هُمْ) بضم الهاء وتسكين الميم كما في العامية السودانية والعاميات العربية المعاصرة ، وتُنطق الكلمة في كثير من الأحيان في العامية السودانية ولهجات البدو في السودان بتضعيف الميم لتقويتها ومن ثم إظهارها فنتج عن ذلك التضعيف صيغة (هُمَّ – بتضعيف النون –) ، وحينما انتقلت الصيغة

---

١١) Abdon Agan Jok Nhial / Ki-Nubi And Juba Arabic : Comparative Study / Direction is Sudanese Languages and Folklore / page 82

١٢) أنظر تحليل كلمة (أو) المستخدمة لمقابلة الضمير (هو)

(هُمّ) إلى اللهجة لم يكن بوسع الناطقين باللهجة نطق التضعيف[١٣] مما نتج عنه فك الإدغام ، وفك الإدغام يقتضي تبديل أحد المثلين [١٤] فنتج عن ذلك قلب الميم المسهلة الثانية إلى نون بانتقال المخرج ، وهنا لم يحدث أكثر من رجوع الميم خطوةً إلى الخلف – من منطقة الشفتين إلى منطقة الأسنان واللثة ، مع انسداد مجرى الهواء تجاه التجويف الأنفي بارتفاع الحنك اللين إلى أعلى ، على نحو ما حدث في كلمة مِنبَر التي تُنطق في العامية السودانية بَنبَر ، وكان الناتج (هُمَن) كما في لهجات غرب السودان . ومن ثم عملت اللهجة على قلب الهاء في أول الضمير إلى همزة كما هو معروف وكان الناتج من كل ذلك كلمة (أومن) الدالة على ضمائر (هُم ، وهُن ، وهما) .

١٣) غياب التضعيف من أبرز ملامح عربية جوبا واللغات المحلية في جنوب السودان .

١٤) د. إبراهيم أنيس / في اللهجات العربية / / ص١٤٢

ب/ الضمائر المتصلة :

١/ ضمائر الرفع المتصلة جدول رقم (١)

رقم	نموذج ضمير الرفع المتصل في الفصحى	ما يقابل ضمير الرفع المتصل في عربية جوبا
١	ذهبتُ إلى السوق	أنا گا روا في سوک ?na ga rawa fi su:g
٢	أكلنا الذرة الشامية	نينا گا أُوكولُو أيس ريف nina ga ?ukulu es ri:f
٣	هلْ شرِبْتَ مريسة اليوم	إتَ أليلا أسِربو مريسة ?ita ?lela ?sarbu mirisa
٤	هلْ ذهبتِ إلى السوق	إتَ گا روا في سوک ?it ga ruwa fi su:g
٥	جئتما باكِراً	إيتاكُمْ بجا بيدرِي ?itakum bid3a bedri
٦	أكلتُمْ المَوْزَ / تأكلون المَوْزَ	إيتاكُمْ گا أكُولو موز ?itakum ga ?ukulu moz
٧	جِئتُنَّ إلى الخرطُومِ	إيتاكُمْ بجا في كرتوم ?itakum bid3a fi kartu:m
٨	ذهب إلى المنزل	أُوْ رَاوَا في بيت ?uwa rawa fi be:t

٩	ذهبَتْ إلى المنزل	أُوْ مَشا في بيت ?uwa ma a fi be:t
١٠	قَتَلونا في الحرب	أُوْمَنْ دوكو نينا في دُسمان ?uman dugu nina fi dusman
١١	تجاذبوا معي أطرافَ الحديثِ	أُمَنْ ونِسُو ما أنا ?uman wansu maa ?na
١٢	يبِعن الخضار في السوق	أُمومَنْ بيو كدارات في سوك ?uman biwu kadarat fi su:g

من النماذج الموضحة في الجدول (١) نلاحظ غياب الضمير المتصل ، فالضمائر المستخدمة في النموذج الفصيح – العمود الأيمن – كلها في محل رفع فاعل ، ولذا جاءت متصلةً بالأفعال التي قبلها وهي : (تُ ، للمتكلم ، نا ، للمتكلمين ، تَ للمخاطب ، تِ للمخاطبة ، تُما للمثنى (بنوعيه) ، والضمير المستتر للغائب ، تاء التأنيث للغائبة ، ألف الاثنين للغائبَين ، واو الجماعة للغائبِين ، نون النسوة للغائبات) . وقد قابلتها عربية جوبا بضمائر منفصلة هي (أنا، نينا ، إيتَ ، إيتَكُمْ ، أوْ ، أومَنْ) على التوالي في بداية الجملة ، وهذا يعني أن الجملة الفعلية التي يكون فاعلها ضميراً (متصلاً) تتحول في اللهجة إلى جملةٍ فعليةٍ تبدأ

باسم ، والاسم هو الضمير (المنفصل). وهنا لا بُد أن يكون منفصلاً لأنه يكون في محل رَفْعٍ (مبتدأ) وهذا هو العامل الذي أدي لتغير الضمير المتصل إلى منفصل في اللهجة . ولعل العامل الذي أدي لغياب الضمير المتصل بالفعل (في محل رفع فاعل) في اللهجة هو غياب نمط الجملة الفعلية فيها والذي هو أثر مباشر من آثار اللغات المحلية عليها . إذ لم تعرف أي من اللغات المحلية نظام الجملة المبدوءة بفعل . وعلى ذلك فلم ير متكلم اللهجة من ضرورة لذكر الضمير (الفاعل) متضام مع فعله ما دام قد ذُكِر في أول الجملةِ منفصلاً إلا وتكرر المسند إليه .

٢/ ضمائر النصب المتصلة :

جدول رقم (٢)

رقم	نموذج ضمير النصب المتصل في اللغة لعربية الفصحى	ما يقابل ضمير النصب المتصل في عربية جوبا
١	سرقنِي اللصُ	أرامِي سرگو أنا ?rami sarago ?na
٢	غشنا التاجِرُ	منذُكُرو گسُو نِينا mandokuru gasa nina
٣	ضربتْكَ المِنْضَدةُ في قدَمِكَ	تاربيزا دُربو إيتا في كُرا تاكِ tarabeja durbu ?it fi kuraa taki
٤	حدثُكِ بول	بول كَلَمو إتَا d3on kalamo ?ita
٥	فصلكما من العملِ	أوْ ترجو إيتكُم من مِيل تا شگُل ?uw turdu ?itakum min meil taa ugul
٦	المتمردون طردوكُم إلى جوبا	أنإنأ تُورُوجو إيتاكُمْ في جوبا دى ?nyanya urju?itakum juba
٧	مايكِل ضربكُن ضرباً مبرحاً	مايكل دوگو إيتَكُمْ سديد maikil tugu ?itakum sedid

٨	شربتُه كله	أنا سِرْبو نمْ ?na sirbu nyam
٩	جون تزوجها	جون جوجو بِتْ دى jon juju bit de
١٠	سجَّلهما في مدرسة الملكية	أو سجِل أُومن في مدرسة تا ملكية ?wu sajal ?uman fi medresa ta melkiya
١١	أكلهم بالقرب من الشاطئ	أُوْ أكلْ أومن ما بار ?wu ?kal ?uman ma ba:r
١٢	مايكل ضربهُن ضرباً مبرحاً	مايكل دربو أُومن سديد maiykl darabu ?uman sadi:d

من الجدول السابق تلاحظ أن اللهجة لم تعمد إلى استخدام الضمير المتصل لمقابلة الضمائر (ياء المتكلم ، نا الفاعلين ، كاف المخاطب ، كاف المخاطبة ، –كما – الدالة على المخاطبَين ، –كُم – الدالة على المخاطبِين ، هاء الغائب ، هاء الغائبة ، هما الدالة على الغائبَين ، هم الدالة على الغائبِين ، هن الدالة على الغائبات) ، بل استخدمت بدلاً عن هذه الضمائر المتصلة الواقعة في محل نصب – حسب سياق النماذج – ضمائراً منفصلةً وذلك لأنها لا

تعرف الضمائر المتصلة ، بسبب عدم وجود نمط الجملة المبدوءة بفعل كما ذكرنا باعتبار أن ذلك أثر من آثار اللغات المحلية .

جدول رقم (٣) يبين ضمائر الجر

رقم	ضمير الجر في الفصحى	ضمير الجر في عربية جوبا
١	اتصل بِي تلفونيا في متجري	أُوْ دربو لى أنا تِلفون في دُكان تا أنا
٢	اتصل بِنا تلفونيا في بيتِنا	أو دربو لى نينا تِلفون في بيت تانا
٣	اتصل بِكَ تلفونيا في مكتبِكَ	أو دربو لى إتَ تِلفون في مكتب تاكِي
٤	اتصل بِكِ تلفونيا في بيتكِ	أو دربو لى إتَ تِلفون في بيت تاكِي
٥	اتصل بِكُما تلفونيا في بلدِكُما	أو دربو لى إيَكُمْ تِلفون في بيليد تاَكُمْ
٦	اتصل بِكُمْ تلفونيا في بيتكُمْ	أو دربو لى إيَكُمْ تِلفون في بيت تاكُمْ
٧	اتصل بِكُنَّ تلفونيا في بيتكم	أو دربو لى إيَكُمْ تِلفون في بيت تاكُمْ

٨	اتصل بِهِ تلفونيا في مكتبه	أو دربو لى أُوْ تِلفون في مكتب تو
٩	اتصل بِها تلفونيا في متجرها	أو دربو لى أُوْ تِلفون في دُكان تو
١٠	اتصل بِهُما تلفونيا في مكتبِهما	أو دربو لى أُومَنْ تِلفون في مكتب تومُنْ
١١	اتصل بِهُمْ تلفونيا في منازلهم	أو دربو لى أُومَنْ تِلفون في بيوت تومُن
١٢	اتصل بِهُنَّ تلفونيا مدارسهن	أو دربو لى أُومَنْ تِلفون في مدرسات تومُنْ

تلاحظ أيضاً أن اللهجة استخدمت الضمير المنفصل حسب النماذج السابقة لمقابلة الضمير المتصل في اللغة العربية الفصحى والواقع في محل جر (بالحرف ، وبالإضافة) .

فاستخدمت اللهجة الضمائر " أنا " لمقابلة ياء المتكلم ، و"نينا" لمقابلة نا الفاعلين ، و" إتَ " لمقابلة كَ المخاطب وكِ المخاطبة " إيتَكُم " لمقابلة كما ، وكُم ، وكُن ، و" أُو " لمقابلة ه الغائب وها الغائبة ، و"أومن" لمقابلة هما ، وهم ، وهن " . وطبعاً العامل الذي

أدي لعدم استخدام الضمير المتصل الواقع بعد حرف جر هو – كما ذكرنا – يرجع إلى أثر اللغات المحلية عليها.

أما في حال وقوع الضمير في محل جر بالإضافة فإن اللهجة تعمد في العادة إلى استخدام صيغة معينة للإضافة وهي (تا) التي هي في الأصل من العامية السودانية (بِتاع) ، والكلمة ذات أصل عربي بدليل وجودها في العامية المصرية والعامية اليمنية ، وهي في الأصل (في الفصحى) متاع ، فقُلِبتْ الميم باء بتحولها من صوت أنفي إلى انفجاري[١٥] ، وتغير الميم إلى باء تغير تكفله القوانين الصوتية إذ أن كلا من الميم والباء شفوي مجهور ، وذلك على نحو ما نجده في كلمة مِنبَر التي ينطقها السودانيون بنْبَر بقلب الميم باء . وكلمة متاع التي تحولت إلى بتاع في اللهجات العربية مستخدمة للدلالة على الملكية حينما يقول السوداني " أديني الگروش بتاعتي ، والمصري " أديو الأروش بتاعتو ، واليمني " الگروش بتاعو " نجد أن العاميتين المصرية والسودانية توسعت في استخدام كلمة " بتاع " – مع أنها أداة مساعدة تدل على الملكية – واشتقت منها صيغاً مؤنثةً ، بينما اللهجة اليمنية ما زالت تستخدمها حسب وظيفتها الدلالية (الملكية) . وبما أن اللهجة واللهجة سودانية استخدمت الأداة (بتاع) للدلالة على الملكية ولكن مع بعض التغيير الذي تمَّثل

١٥) تم ذلك بارتفاع الحنك اللين إلى أعلى مما أدي لانسداد مجرى الهواء عبر التجويف الأنفي ، ومعلوم أن كلا من الصوتين الميم والباء شفوي مجهور

في سقوط العين لعدم وجودها في اللهجة وفي اللغات المحلية – المؤثِّر الأول – مع الاحتفاظ بحركتها التي هي في الأصل دالة على الضمير المتضام معها كما في العامية السودانية . فكانتْ تاكِ لمقابلة بتاعَك ، وبِتاعِكْ . وتاكُمْ لمقابلة بتاعكُم ، وبتاعَكُن ، تو لمقابلة بتاعُه ، وتومَنْ لمقابلة بتاعُم ، وبتاعُهن ، فنلاحظ أن حركة التاء – بعد سقوط العين – تتغير حسب الضمير المتضام مع الكلمة فهي فتحة طويلة عند تضام الأداة مع ضمائر الخطاب (لأن العين في ضمائر الخطاب حسب ما ورد في العامية السودانية مفتوحةٌ) ، وضمة ممالة نحو الكسرة في ضمائر الغيبة (لأن العين في ضمائر الغيبة حسب ما ورد في العامية السودانية مضمومةٌ).

وهذا لا يعني بأي حال من الأحوال أن اللهجة تعرف نمط الضمير المتصل بالفعل أو الاسم ، إذ لا يتصل الضمير بأي كلمة اتصالاً مباشراً إلا مع كلمة " تا " التي أصلها بتاع وهي أداة الملكية .